

حي الحسين

قبل أن يتسع الميدان ،

كانت هذه الحارة تمتد إلى (خان الخليلى)

وأنا أعبرها كل صباح ،

مثقلَ المظهر بمخلاة الدفاترُ

وعلى جفنى نعاس متيق ..

يتدأشى كلما طافت على العين المناظرُ

(قدرة الفول) على جنب المطريقُ

وعلى الآخر (صاجات الفطيرُ)

وهنا عند المزقاق ..

(حمص المشام) ، وقيل المنحنى ..

تبدو (سلاطين المزيادي)

كان قرشى يشتري من كل هذا ما أريد

وأنا طفل سعيد!

[]

في فناء المدرسه

يطلب الناظر أن ندعو لشوكار - الأميره

فلقد أعطت كثيراً ، ولكم طابت شمائل!

وغدا تأتي لتكريم الأوائل

..

هل علمتم يا صغاري ..

إنها أوصت لكل المناجحين

بكساء ، وحذاء .. وهدايا

..

كنتُ أدعو من فؤادي للأميره

وأنا طفل صغير!

..

ينتهي اليوم الدراسي ..

فأهود

من طريق متعرج

حيث يُقعى فى المزايا منه صنّاعُ المسابحِ

وعقود الكهرمانِ

ويفوح الجوّ بالمعطر،

وأصناف البخور الأسيويه

وعلى الأرفف عيدان المسواك العربيه

وإذا ما دخل المزارع سائح

جذبتَه ألف كف،

تتقن المبيع بكلّ الألسنه

ثم تمتدّ إلى (المشيشة) حتى تتوهج..

وتغنّى من جديد (للتساهيل)،

وتشدو بالمدائح!

[]

كان هذا الشارعُ المضييقُ سوقاً للأعاجيبِ،

ترى فيه المبراقعُ

وقباقيبَ الموضوعِ الخشبيهِ

وبه تسمع دقاتِ دفوفٍ،

وزغاريدَ ظهورٍ،

وابتهالاتِ مراضعٍ!

[]

وعلى (الدئنة) يستلقى مجاذيبُ الحُسينِ

كحَلِّوا أعينهمُ،

حَنِّوا لحاهمُ ،

عَلِّقُوا شتَى النياشينِ ،

وراحوا يضربون الناس - فى وَجْد-

بأطرافِ المقارعِ !

* □ *

كنت فى إيقاع هذا العالمِ الساحرِ

أنسى كل شىءٍ

عودتى ، وقت غدائى ،

صرخةُ الدوالد فى وجهى ،

وإعدادِ المدروسِ !

وأمام المئات القادم من عهد المماليك المبهى

كنت أطفئ لفحة الشمس ..

بكوب المعرقسوس!

* □ *

قبل أن يتسع الميدانُ،

كانت هذه الحارةُ تمتدُّ إلى (خان الخليلي)

وهي الآن .. طريق متسعٌ

يعبر السائرُ فيه ،

دون أن يعرف ما كانَ ، وكانَ

وأنا وحدي الذي أحمل تاريخ المكان!

* □ *

عندما حدّقت في بعض المحلّات الجديدة

انبرى بائع فيديو قائلاً

- ماذا تريد؟

قلت :

- أبيع عبقّ الأمس، ونبش الذكريات

قال :

- ثم تأت إلى الآن ..

فهل أختار لك؟

قلتُ :

- أين العودُ والعنبرُ؟

أين المسكُ؟

أصناف المباخرُ؟

وعقودُ الكهرمان؟

قطب الوجه ، ولم ينظر إلى

وكأني قادم للتو من عهد المماليك الغبي؟
